إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات نوفمبر ٢٠٢٣م

الجهاد الرهباني

يقول أبا زكريا: "الراهب هو من يجبر نفسه في كل شيء." القديس يوحنا السينائي شرح: "الراهب هو من يلتزم فقط بوصايا الله في كل وقت ومكان ومسألة. الراهب هو من يكبح طبيعته باستمرار ويحافظ على حواسه باستمرار. الراهب هو من يحافظ على جسده في العفة، وفمه في النقاء، وعقله في الإشراق. الراهب هو نفس نائحة ومشغولة باستمرار، سواء في اليقظة أو النوم، بتذكر الموت."

كذلك، يعلم القديس إفثيميوس العظيم: "يا إخوة، جاهدوا لما جعلكم تخرجون هنا، ولا تهملوا خلاصكم الشخصي. يجب عليكم في كل الأوقات أن تبقوا يقظين ومستيقظين. كما يقول الكتاب المقدس، "اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ."(مرقس ١٤: ٣٨)."

ما هو الراهب؟ الراهب هو من ينفذ وصايا المسيح، مسيحي كامل، مقلد أو مشارك في آلام المسيح، شهيد يومي، رجل ميت طوعي يموت بسعادة في الجهادات الروحية. الراهب هو عامود الصبر، عمق التواضع، ينبوع الدموع، خزانة النقاء، من يضحك على كل ما يعتبر رائعاً وحلواً ومجيداً وجذاباً في هذا العالم. الراهب هو نفس تعاني، تتأمل باستمرار في ذكرى الموت، سواء في اليقظة أو النوم. الراهب هو من يقهر الطبيعة البشرية باستمرار، ويحافظ على مشاعره دون ضعف. الراهب هو من نوع وحالة من ليس لديهم جسد؛ على الرغم من أنه كائن في جسد مادي، هو يضع في عقله في جميع الأوقات، في كل مكان، وفي كل عمل، فقط ما هو إلهي.

وفقاً لكلمات الكتاب المقدس، الآن بما أنك قد شرعت "لخدمة الرب، فاثبت في خوف الله وأعد نفسك" ليس للسلام أو الأمان أو المتعة بل "للتجارب والصعوبات" (سيراخ ٢:١). لأن "بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ." (أعمال ١٤ :٢٢)، بما أن "مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ! (متى ٧ :١٤) ففكر، إذاً، أنك أحد القلة المختارة، ولا تصبح بارداً من خلال المثال وفتور الجماهير، بل عش كما يعيش القليل، حتى تستحق مع القليل أن توجد في الملكوت. "لأن كثيرون مدعوون، ولكن قليلون مختارون" (متى ١٦:٢٠). و"القطيع صغير" (لوقا ١٢:٣٢) الذي يسر الأب أن يعطيه الإرث.

وبالمثل، قال شيخ مرة في عظة للرهبان: "في هذا المكان، يا أحبائي، قد تجمعنا ليس لنستمتع بالهدوء، ليس لنكون آمنين، بل للقتال والمشاركة في القتال. إنه للجهاد قد تقدمنا هنا." لذا ينبغي للراهب أن يعيش في دير تحت حكم أب واحد وفي رفقة العديد من الإخوة، لكي يتعلم من واحد التواضع، ومن آخر الصبر. واحد سيعلمه الصمت، وآخر الوداعة. لا ينبغي له أن يفعل ما يحلو له؛ ينبغي له أن يأكل ما يوضع أمامه، يلبس ما يعطى له، يقوم بالعمل الموكل إليه. ينبغي له أن يذهب للنوم متعباً لدرجة أنه قد يغفو أثناء الذهاب، وينهض قبل أن يحصل على قسط كافي من الراحة. إذا تعرض للظلم، يجب أن يكون صامتاً؛ ولا ينبغي له أن ينتقد كلمات الشيوخ لأن واجبه الطاعة والقيام بما يُأمر به، كما يقول موسى: " اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ" (تثنية ٦ :٤).

قال القديس باسيليوس العظيم، ملكوت السماوات ينتمي للغاصبين، و"الغاصبون يخطفونه"—— هذه هي كلمات الإنجيل (انظر متى ١١ :١٢). بـ"الغصب" يُقصد قهر الجسد الذي يختار تلاميذ المسيح أن يمروا به طوعاً من خلال إنكار إرادتهم الشخصية، ورفض الراحة للجسد، والتقيد بوصايا المسيح. إذاً، إذا كنت ترغب في الحصول على ملكوت الله، كن قوياً؛ احنِ رقبتك تحت نير خدمة المسيح، بالعمل في اكتساب الفضائل، في الصيام، في السهر، في الطاعة، في الصمت، في التسبيح، في الصلاة، في الدموع، في العمل اليدوي، في تحمل جميع المحن التي تصيبك على يد البشر والشياطين.

في التقليد المقدس للرهبنة الأرثوذكسية، نجد جهاداً عميقاً ودائماً—— معركة روحية تُخاض في قلب كل راهب وراهبة. هذه المعركة لا تُخاض بالسيوف أو الدروع، بل بالصلاة، والصيام، والتفرغ الثابت. دعونا نتعمق في جوهر هذا الجهاد الرهباني الأرثوذكسي.

معركة مواجهة الشهوات: في جوهر الجهاد الرهباني تكمن معركة مواجهة الشهوات—— تلك الدوافع والرغبات الداخلية التي تفصلنا عن الله. أعترف آباء وأمهات الصحراء، تلك الرموز الرهبانية الأولى، بأن الشهوات يمكن أن تكون كحيوانات شرسة داخلنا. علموا أنه من خلال اليقظة، والزهد، والصلاة المستمرة، يمكن ترويض هذه الشهوات، محوراً الروح إلى وعاء لنعمة الله.

السعي نحو التواضع: التواضع هو حجر الزاوية في الرهبنة الأرثوذكسية. في رأى آباء الصحراء الذات هي أصل لكل خطيئة، لذا سعوا لزرع التواضع العميق. من خلال أفعال الإنكار الذاتي والتفريغ الذاتي. بهذا كانوا يهدفون إلى نزع حاجز الأنا وتوفير المجال لحضور الله.

صمت القلب: في هدوء الصحراء أو وحدة الدير، يجد الرهبان والراهبات الأرثوذكسيون صمتاً مقدساً. هذا الصمت ليس مجرد غياب للضوضاء ولكن هو هدوء داخلي عميق. وفي هذا الصمت يواجهون صوت الله، ليس في كلمات رعدية بل في همسة لطيفة للقلب.

التواصل من خلال الصلاة: الصلاة هي شريان حياة الوجود الرهباني. إنها محادثة لا تنقطع مع الكيان الإلهي، وحبل النجاة إلى ما هو ساميّ. لذا يمارس الرهبان صلاة يسوع، والمزامير، والقداس الإلهي، وبهذا يقتربون من الله مع كل كلمة.

احتضان الصليب: الصليب ليس مجرد رمز في الأرثوذكسية؛ إنه نمط حياة. يُدعى الرهبان لحمل صليبهم يومياً، مع تبني المعاناة والاختبارات كوسيلة للاتحاد مع المسيح المصلوب. من خلال هذه المعاناة يقتربون من القيامة.

السعي نحو الحب: قبل كل شيء، يتعلق الجهاد الرهباني بالحب: حب الله وحب القريب. من خلال زهدهم الشديد وتفرغهم للصلاة، يُعد الرهبان قلوبهم لتصبح وعاء للحب الإلهي ومناراً مشعاً بنعمة الله في عالم غالباً ما يكون مظلماً.

عندما نتأمل في الجهاد الرهباني الأرثوذكسي، نجد درساً عميقاً— درساً في التزامٍ لا يتزعزع، في سعيٍ متواصلٍ نحو الله، وفي قوة التغير نحو حياة مكرسة للصلاة، والتواضع، والحب لأن عناء كل جهاد يمر، أما النصر فيبقى.